ورقة عمل بعنوان
فكر عصر المعلومات وتطوير التعليم المصري

إعداد
أستاذ دكتور / محمد محمد سكران
قسم أصول التربية – كلية التربية –
جامعة الفيوم

مدخل

نستهل ما نود طرحه بالإشارة إلى أهمية هذا المؤتمر العلمي الذي تعقده كلية التربية ، جامعة الفيوم ، والذي يتناول قضية في غاية الأهمية وهي " تطوير التعليم في عصر اقتصاد المعرفة ، وتكنولوجيا المستقبل " وتتضح هذه الأهمية من خلال أهداف المؤتمر ومحاوره .

فالمؤتمر يستهدف : التعرف على واقع المؤسسات التربوية في مصر والعالم العربي والبرامج التي تقدمها في ضوء " اقتصاد المعرفة وتكنولوجيا المستقبل " . وتبادل الخبرات على كافة المستويات وفي كل المجالات التربوية ، وصياغة رؤية تربوية لمواكبة تغيرات وتطورات هذه الجوانب والأبعاد العلمية ، والتي تصب في النهاية في مجال تطوير التعليم المصري .

وتسعى محاور المؤتمر إلى تحقيق هذه الأهداف ، وتتمثل هذه المحاور وبإيجاز في تناول : تطوير التعليم والثورة التكنولوجية ومدى استجابة المدخلات الأساسية للتعليم المصري لعصر اقتصاد المعرفة وتكنولوجيا المستقبل .

من هذا المنطلق والمشاركة في تحقيق هذه الأهداف ، نطرح رؤية علمية حول " فكر عصر المعلومات وتطوير التعليم المصري " وذلك من خلال محورين أساسيين .

يغطي المحور الأول منهما : " فكر عصر المعلومات " من حيث أهم الخصائص والتحديات ، ويغطي المحور الآخر " أهم متطلبات وآليات تطوير التعليم المصري في ضوء هذه الخصائص والتحديات " .

المحور الأول : فكر عصر المعلومات (الخصائص والتحديات) :

نستهل هذا المحور بالإشارة إلى أنه بالرغم من أن الحديث عن عصر المعلومات وتحدياته ، بات معادا ومكررا ، بل وأحياناً مملاً ، إلا أن هناك على ما يبدو من لم يدرك بعد أهمية هذا الحديث ، وأبعاد هذه القضية ، وإننا بالفعل نعيش هذا العصر بكل خصائصه ومعطياته ، تأثيراته وتداعياته .

عصر تضاعفت فيه مردودات العلم وحصائله بمعدلات متصاعدة غير مسبوقة ، وبدرجة بات فيها " العلم " هو العامل الحاسم في تشكيل العقل والواقع على السواء ، والفاعل المؤثر في تشكيل ثقافة المستقبل . ولم لا ؟ والعلم على – حد تعبير نبيل على – يسجل لنا كل يوم العديد والمزيد من الانتصارات وعلى كل الجبهات . يسحق المكان ، ويفتت الزمان ، ويخترق فضاء المجالات الكونية ، ويميط باللثام عما يكمن داخل الذرة والخلية ، ويغوص منكباً عن دخائل النفس البشرية وخفايا البيئة الاجتماعية .

إنه عصر تكنولوجيا المعلومات التي استطاعت أن تقلب الموازين والمعادلات ، بما تحمله من أرقام ورموز وشفرات ، عصر النهايات والمابعديات والمنفيات .

فيه اختلطت وتداخلت الأضداد لتزايد المردودات وسرعة الإنجازات ، وما ترتب عليها من آثار وتداعيات غير مسبوقة ، باتت فيه الأجيال اللاحقة تتعلم من السابقة ، مثلما تتعلم السابقة من اللاحقة ، بعد أن أصبحت المعرفة السابقة تتهالك بمعدل يفوق في سرعة معدل اكتسابها ، مما يعنى أن الماضي لم يعد يؤدي إلى الحاضر ، وإنما الحاضر على حد تعبير ميشيل فوكو – هو الذي يهب الماضي معناه وجدواه .

إنه عصر مجهول المستقبل ، وبات اليقين فيه ضرباً من الخيال ، بل أصبح التنبؤ الصادق والوحيد فيه هو استحالة التنبؤ .

إننا بالفعل نعيش عالماً عجيباً مثيراً ، فيه – على حد تعبير نبيل على – يلهث قادمه ويكاد يلحق بسابقه ، تتقادم الأشياء ، وهي في أوجه حدتها ، وتتآلف فيه الأشياء مع أضدادها.

إنه وباختصار عصر تكنولوجيا المعلومات والذي فرض العديد من الأنماط لتوعية الفكر المطلوب للتعامل مع ما يتميز به من خصائص وصفات ، من حيث كونه – كما يطرح نبيل على وغيره من المفكرين والمهتمين بهذا المجال –فكراً ابتكارياً ، تفنيدياً ، علمياً ، منظومياً ، استشرافياً ، حدسياً ، مبادراً ، محدداً ، متوازياً ، عولمياً ، بدائلياً ، حوسبياً ، تواصليلياً ، توليداً فكرا غير خطي ، يتسق مع ظواهر الواقع حيث النقلات الفجائية ، والتغيرات العشوائية ، ومسارات التفكير المتوازية والمتداخلة ، دينامياً سريع التكيف مع ديناميات الواقع ، يرى الظواهر في مسار متصل .

ومن ثم لا مكان لثنائيات المادي ، وغير المادي ، العضوي وغير العضوي ، الإنتاجي والاستهلاكي ، الفرد والجماعة ، التعليم والتربية ، المدرسة والعمل ،وغيرها من الثنائيات التي تحصر التفكير بين بدلين لا ثالث لهما . إنه فكر غير تخصصي قادر على عبور الحواجز بين نوعيات المعرفة المختلفة ، ومحاصرة غابة التداخلات التي تربط بينها .

عشرات الأنماط والصفات والتحديات لفكر عصر تكنولوجيا المعلومات ، والتي باتت تفرض نوعية جديدة من الذهنية القادرة على التعامل مع هذا العصر وتحدياته ، وهذه مهمة التربية ، ومنظومة التعليم بكافة أنواعه ومراحله .

وهنا لنا أن نتساءل : هل المدرسة المصرية – بمفاهيمها القليدية المتوارثة عبر قرن من الزمان أو يزيد ، وبمناهجها ، التي تعمل كجزر منفصلة ، وطرائق تدريسها التي تركز بشدة على الحفظ والاستظهار – هل هذه المدرسة

بقادرة على تكوين الذهنية –وإكساب المتعلم المهارات وأنماط التفكير القادرة على التعامل مع فكر عصر المعلومات .

ونحن في طرحنا لهذا السؤال لا نقصد بالمدرسة المصرية في مرحلة معينة ، وإنما يمتد التساؤل ليشمل كافة منظومة التعليم المصري على اختلاف مراحله وأنواعه .

وهنا وفي هذا السياق نطرح بعض الرؤي والتصورات التي قد تفيد في هذا المجال وتغطي المحور الآخر والخاص **ببعض الرؤي والتصورات حول تطوير التعليم المصري في ضوء خصائص وتحديات فكر عصر المعلومات** .

قد لا تكون بحاجة إلى طول بيان أو اثبات أن خصائص وتحديات عصر تكنولوجيا المعلومات إنما تفرض وفي الأساس توافر نوعية تربوية جديدة وذلك من خلال إحداث مجموعة من التحولات التعليمية التي تستهدف تحقيق ثقافة الاتقان والجودة ، الابداع والابتكار والتحول من القهر إلى المشاركة ، ومن الاستهلاك إلى الإنتاج ، ومن القفز على النواتج إلى معاناة العمليات ، ثقافة الاعتماد على الذات ، والتعلم مدى الحياة واحداث التكامل بين حقول المعرفة المختلفة وتعدد مصادر هذه المعرفة ، وتبنى مفهوم المدرسة المنتجة ، والجودة الشاملة ، وتشكيل قاعدة معرفية عريضة من المعارف والخبرات التي تعطي المتعلم فرصة الانتقال والانسيابية بين أنواع التعليم والتخصصات المختلفة وإحداث تغيير جذري في مفاهيم وطرائق التعليم بما يمكن المتعلم من امتلاك مفاتيح المعرفة ، ومهارات الدراسة المستقلة ، وتحويله من مجرد متلق سلبي إلى باحث منتج للمعرفة ومكتشف مبدع للتكنولوجيا ، وتدريبه على التعامل مع النظم المعقدة واللاخطية وتوقع التغير والتحسب لاحتمالاته ، وما يتطلبه ذلك من قدرة على التفكير المتشعب ، وحل المشكلات فائقة الصعوبة والتعقيد وعمل السيناريوهات للاحتمالات المختلفة ، وتوقع النتائج وغيرها والتوجهات ذات الارتباط الوثيق بفكر عنصر المعلومات .

لكن يبقي السؤال كيف يمكن تحقيق هذه الرؤية ، وما متطلبات تحقيقها ؟ عشرات الآليات والمتطلبات التي يمكن طرحها هنا من اجل تحقيق هذه الرؤية ، سواء ما تعلق منها بعمليات التمويل ، وتوافر الإمكانيات والتجهيزات او بعمليات سواء ما تعلق منها بعمليات اعداد المعلم واعادة تدريبه وفق المفاهيم والافكار والطرائق الحديثة التي يفرضها عصر التحديات ، أو ما تعلق منها بمفاهيم الادارة المعاصرة وغيرها من ضمانات تحقيق هذه الرؤية المستقبلة .

نرى انه يجب قبل وبعد هذا كله ضرورة تغيير الذهنية والثقافة السائدة التي عاشت مع التعليم المصري عبر تطوره التاريخي الطويل ، سواء ما تعلق منها بالثقافة المجتمعية ، أو ثقافة المؤسسة التعليمية ، وهنا وفي سياق الحديث عن فكر عصر المعلومات وتطوير التعليم المصري لابد من طرح بعض الملاحظات الاساسية في هذا المجال وفي القلب من هذه الملاحظات:

١- انه مهما كان التقدم التكنولوجي وعناصره والتي يمكن استخدامها في التعليم ، فإنه من الصعب الاستغناء عن المدرسة كمكان لتعليم أجيال .

٢- والشيء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة للمعلم ؛ حيث لا يمكن أن تكون التكنولوجيا المتقدمة بديلاً عنه ، فهي ليست أكثر من أدوات تساند وتساعد المعلمين على القيام بأدوارهم بأعلى درجة من الكفاءة ؛ من منطلق أن التكنولوجيا – مهما كان تقدمها – ليست أكثر من وسيلة في متناول الجنس البشري ، وتحسين أعمال الناس ، ولن تحل أبداً محل الروح الإنسانية وما يتميز به الإنسان من مهارات وخبرات وقيم المثابرة وبذل الجهد .

٣- إنه يجب التعامل مع التكنولوجيا المتقدمة على أنها بمثابة الدافع والحافز على مراجعة الكثير من أفكارنا وممارساتنا التعليمية ، وفي مقدمتها مفهوم المدرسة بشكلها التقليدي ، كما تفرض على المعلمين تحسين مهاراتهم وخبراتهم ، والاستفادة من هذه التكنولوجيا المتقدمة ؛ لأن البشرية إذا كانت مقبلة على عصر يتخذ من التقدم التقني وضعا غير مسبوق ، فسوف تكون هناك حاجة

ماسة إلى أشخاص على قدر من المهارة والخبرة بصورة لم يسبق لها مثيل . وأن إعداد هؤلاء الأشخاص لن يتم إلا من خلال التعليم الذي سوف يظل دائماً وأبداً هو أساس بناء المجتمعات .

فالمجتمع الذي يسعى إلى تشييد بنية أساسية تكنولوجية ، على درجة من التقدم ، سوف يكون دائماً بحاجة مستمرة إلى متعلمين أكفاء قادرين على إدارة شئون مجتمعهم ، وعلى تطويره، كما أن الأمة التي تسعى إلى المنافسة في عالم يعتمد على التكنولوجيا المتقدمة ، هي بحاجة دائمة إلى مهارات وإخلاص وتفاني أبنائها .

وبهذا نصل إلى نهاية ما قد يفيد في مجال تطوير التعليم المصري في ضوء فكر عصر المعلومات . مع ضرورة الإشارة إلى أن القضية ما تزال بحاجة إلى العديد من البحوث والدراسات العلمية .